

خطبة الجمعة - الخطبة ٠٨٤٢ : وسائل تقوية الإيمان .
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٢-٠٧-٠٥ .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الأولى:

الحمد لله نعمده، ونستعين به ونسترشده، ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إقراراً بربوبيته، وإرغاماً لمن جحد به وكفر، وأشهد أن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم رسول الله سيد الخلق والبشر، ما اتصلت عين بنظر، أو سمعت أذن بخبر، اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه، وعلى ذريته ومن والاه ومن تبعه إلى يوم الدين. اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

تفسير وقوع المسلمين في الحرام :

أيها الأخوة الكرام: تحدثت في الخطبة السابقة عن موضوع حلاوة الإيمان، وأردت من هذا الحديث أن نعلل السبب الذي من أجله يقع المسلمون في الحرام. فإذا كان الحلال بيئاً والحرام بيئاً فكيف يقع معظم المسلمين في الحرام؟ لا بسبب نقص معلوماتهم بل بسبب ضعف إرادتهم، وضعف الإرادة عزوتها في الخطبة السابقة إلى نقص في حلاوة الإيمان، وكيف أن حلاوة الإيمان باعث حثيث على طاعة الله عز وجل، أنت بحلاوة الإيمان تتحمل الشدائد، وتقاوم الأعداء ولا تتنافق، ولا تأخذك في الله لومة لائم، وتتحمل متاعب العبادات، وتؤديها بإتقان وتصبر، فإذا انعدمت حلاوة الإيمان تفلت الإنسان من طاعة الرحمن، هذا تفسير لوجود المعلومات ونقص في التطبيق.

تفسير آخر: قد يكون هذا ضعفاً في الخشية، وقد يكون هناك تفسير ثالث هو موضوع خطبة إنه ضعف الإيمان في الأصل.

معالجة ضعف الإيمان عن طريق الزيادة و التجديد :

ماذا يفعل المؤمن إذا علم أن إيمانه ضعيف؟ وأن ضعف إيمانه وراء انحرافه أو وقوعه في بعض المعاصي والآثام؟

الحقيقة أن ضعف الإيمان يعالج بل إن الإيمان يجدد، هذه الحقيقة الأولى، يقول الله عز وجل في القرآن الكريم:

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾

[سورة الفتح: ٤]

الإيمان يزيد، إذا ضعف الإيمان هناك علاج له عن طريق الزيادة. أيها الأخوة الكرام: في عصر كثرت فيه الشبهات، وفي عصر كثرت فيه الشهوات، الشهوات مستعرة والفتن يقظى والشبهات والضلالات لا تعد ولا تحصى، ففي وقت كثرت فيه الضلالات والشبهات، وفي وقت استعرت فيه الشهوات والفتن المؤمن بحاجة ماسة لأن يزيد من إيمانه، أو يجدد من إيمانه. يقول عليه الصلاة والسلام:

((إن الإيمان ليخلق في جوف أحدكم كما يخلق الثوب فاسألوا الله تعالى أن يجدد الإيمان في

قلوبكم))

[الطبراني عن عبد الله بن عمرو بن العاص]

قد تؤدي العبادات أداءً شكلياً، قد تقوم ببعض الطاعات بشكل شكلي، معنى ذلك أن الإيمان ضعف:

((إن الإيمان ليخلق في جوف أحدكم كما يخلق الثوب فاسألوا الله تعالى أن يجدد الإيمان في

قلوبكم))

[الطبراني عن عبد الله بن عمرو بن العاص]

فالإيمان يجدد ويزيد ويقوى، فإذا شكا أحدنا ضعفاً في إيمانه بسبب الحياة الرتيبة التي يعيشها، وبسبب أداء العبادات بشكل شكلي، وبسبب تفريغ بعض العبادات العظيمة حينما تفرغ من مضمونها فما عليه والحالة هذه إلا أن يجدد ويقوي ويزيد في إيمانه.

((حَدَّثَنِي رَبِيعَةُ بْنُ كَعْبِ الْأَسْلَمِيِّ قَالَ: كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوءِهِ وَحَاجَتِهِ فَقَالَ لِي سَلْ فَقُلْتُ: أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ قَالَ: أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ؟ قُلْتُ: هُوَ ذَلِكَ، قَالَ: فَأَعْنِي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ))

[مسلم عن ربيعة بن كعب الأسلمي]

هناك حضور وجهد شخصي، فالمسلم يحضر خطبة الجمعة، يجلس في مجلس علم، لاشك أن هذا العمل جيد جداً وطريق إلى الله عز وجل، ولكن لا بد من واجبات بيتية، كيف أن الطالب لو اكتفى بحضور الدروس ولم يؤدِّ الواجبات لا ينجح، كذلك يقول عليه الصلاة والسلام لهذا الذي سأله أن يكون رفيقه في الجنة قال له:

((.... فَأَعْنِي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ))

[مسلم عن ربيعة بن كعب الأسلمي]

إن الله عملاً في الليل لا يقبله في النهار، وإن الله عملاً في النهار لا يقبله في الليل، فأنت حينما تجعل من بيتك مكاناً لتلاوة القرآن ولأداء الصلوات النافلة، أنت تعين نفسك على أن تتجو من ضعف الإيمان:

((.... فَأَعْنِي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ))

[مسلم عن ربيعة بن كعب الأسلمي]

وسائل تجديد الإيمان :

١ - طلب العلم :

أيها الأخوة الكرام: موضوع الخطبة معالجة أو تقوية الإيمان أو تجديد الإيمان أو زيادة الإيمان، كلها أسماء لمسمى واحد، ضعف الإيمان لا بد أن تقويه، يخلق الإيمان في نفس أحدكم لا بد من أن تجده، أصبح الإيمان شكلاً بلا مضمون لا بد من أن تغنيه بالمضمون، هناك ثماني وسائل تقوي أو تجدد أو تزيد بها إيمانك، الوسيلة الأولى طلب العلم. المشكلة الأولى ضعف الخشية، المعلومات واضحة لكن لا يوجد تطبيق، لذلك يقول الله عز وجل:

﴿ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾

[سورة فاطر : ٢٨]

أن تطلب العلم أو تزداد علماً وقد قال الله عز وجل:

﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾

[سورة طه : ١١٤]

حضور مجالس العلم ليس استهلاكاً للوقت بل هو استثمار له.

((عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: مَا مِنْ قَوْمٍ يَجْتَمِعُونَ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَقْرَأُونَ وَيَتَعَلَّمُونَ كِتَابَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا حَقَّتْ بِهِمُ الْمَلَائِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَا مِنْ رَجُلٍ يَسْلُكُ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ بِهِ الْعِلْمَ إِلَّا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَنْ يُبْطِئُ بِهِ عَمَلُهُ لَأُسْرِعَ بِهِ نَسَبُهُ))

[أحمد عن أبي هريرة]

ينبغي أن تطلب العلم بشكل مبسط جداً، لا يمكن أن تعالج نفسك من ضغط الدم إلا إذا علمت أن معك ضغط دم، أول خطوة في المعالجة أن تعلم المشكلة وتحدها، فهذه أول خطوة في حلها، لأن الله سبحانه وتعالى يقول:

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾

[سورة فاطر : ٢٨]

ينبغي أن تزداد علماً، وتطلب العلم، وألا تنقع بمستوى من العلم، وأن تطلب العلم من المهد إلى اللحد، لأن العلم هو تلبية الحاجة العليا في الإنسان.
أيها الأخوة الكرام: لو قرأتم قوله تعالى:

﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾

[سورة الملك: ١٠]

في هذه الآية يظهر أن الأزمة هي أزمة علم، ولأن الله عز وجل يقول:

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾

[سورة فاطر: ٢٨]

لأن كلمة إنما تفيد القصر والحصر، معنى ذلك أن العلماء وحدهم أي العلماء بالله تعالى، والعلماء بمنهج الله تعالى هم وحدهم يخشون الله، ولا يخشى أحد غيرهم الله جل جلاله.

على الإنسان مراجعة تصوراته عن الدين لأن القضية مصيرية :

أيها الأخوة: قد يجمع الإنسان مقولات في الدين بعضها صحيح وبعضها غير صحيح، من خلال مشاهدة لمحاضرة، أو استماع لشريط، أو حضور في مسجد، قد يجمع الإنسان معلومات أو مقولات في الدين بعضها صحيح، وبعضها غير صحيح، لا بد من أن يضيف إلى طلب العلم ما يسمى بمنهج التلقي، لا بد من مقاييس تقبل بها وترفض بها، والمقياس أهم من المعلومات، فلا بد من ميزان، والخطأ في الميزان خطأ لا يصحح، بينما الخطأ في الوزن لا يتكرر، أنت حينما تملك منهجاً للتلقي وتعرف كيف أرد هذه المقولة وكيف أقبلها، ما المقياس الذي تستعين به؟ طبعاً الوحيان الكتاب والسنة، لأن الوحي هو وحي الله عز وجل، وهو ذات كاملة وكتابه حق، والكتاب الوحيد في الأرض الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه إنه كلام الله، وما صحّ من حديث رسول الله هو الذي يبين كلام الله عز وجل، هذا هو المقياس الأول، والأقوال التي هي غير الوحيين الكتاب والسنة الصحيحة، هذا القول يعرض على الكتاب أو السنة، فإن وافقه فعلى العين والرأس وإن خالفه فنحن منه في حل.

أيها الأخوة: ينبغي أن تراجع تصوراتك عن الدين، وعقيدتك فلعل فيها خطأ أو خللاً، لأن القضية قضية مصيرية، قضية سعادة أبدية أو شقاء أبدية، لو فهمت الأمور في الدين فهماً مغلوطاً وبني على هذا الفهم سلوك منحرف كنت ضحية الجهل.

أيها الأخوة الكرام: المرحلة الأولى في تقوية الإيمان وفي تجديد وزيادة الإيمان أن تطلب العلم من المهد إلى اللحد، والمرء يظل عالماً ما طلب العلم فإذا ظن أنه قد علم فقد جهل.

إليك حديث آخر يؤكد هذه الحقيقة:

((مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَتَمَسَّ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ))

[مسلم عن أبي هريرة]

طريق الجنة يبدأ بطلب العلم

((...مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ.....))

[مسلم عن أبي هريرة]

٢ - تلاوة القرآن و تدبره :

أيها الأخوة الكرام: عنصر آخر في تقوية وتجديد وزيادة الإيمان أن تتلو القرآن وتتدبره.

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾

[سورة محمد: ٢٤]

ذلك لأن الحديث الشريف ينبئ كما قال عليه الصلاة والسلام:

((رب تال للقرآن والقرآن يلعنه))

[ورد في الأثر]

التدبر يعني أن تتلو كتاب الله تلاوة صحيحة، وتفهم الذي تلوته فهماً دقيقاً، وأن تقيس نفسك أين أنت من الذي تلوته، هل أنت مطبق لهذا الذي تلوته؟ هل أنت لا تطبق؟ التدبر أن تعرض نفسك على هذا الحكم أين أنت منه؟ فحينما تحاول جاهداً أن تكون في مستوى كلام الله عز وجل فهذا نوع من التدبر.

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾

[سورة محمد: ٢٤]

((عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ قَالَ لِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اقْرَأْ عَلَيَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ اقْرَأْ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أَنْزَلَ قَالَ نَعَمْ فَقَرَأْتُ سُورَةَ النَّسَاءِ حَتَّى أَتَيْتُ إِلَى هَذِهِ الْآيَةِ (فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا) قَالَ حَسْبُكَ الْآنَ فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذَرِفَانِ))

[البخاري عن عبد الله بن مسعود]

لذلك ورد عن بعض العلماء أن القرآن روح الروح، أنت جسم ونفس غذاء جسمك الطعام والشراب، وغذاء نفسك تلاوة القرآن، ألم يقل الواحد الديان جلّ جلاله:

﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾

[سورة النحل : ٦٩]

شفاء النفوس تلاوة القرآن، أية شبهة أو همّ أو حزن ينجلون بتلاوة القرآن.

أيها الأخوة الكرام: أن تطلب العلم وتزداد في طلبه كي تجدد وتزيد وتقوي إيمانك، وتتدبر القرآن، وتسال هذا السؤال دائماً أين أنا من هذه الآية؟ هل أنا مطبق لها تطبيقاً كلياً أم جزئياً؟

أيها الأخوة الكرام: و لا بد من حركة ثالثة هي أن تعمل الأعمال الصالحة، الاستقامة تزيل من طريقك إلى الله العقبات، أما الذي يحركك على طريق الله عز وجل فهو العمل الصالح والدليل:

﴿ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾

[سورة فاطر: ١٠]

﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا ﴾

[سورة الكهف الآية: ١١٠]

الاستقامة طابعها سلبى تقول: أنا لا أكذب، لا أعتاب، لا أكل مالا حراماً، هذه الاستقامة، لكن ما الذي فعلته هل أنفقت من مالك؟ من وقتك؟ من علمك؟ من خبرتك؟ هل سعيت في تزويج شاب بفتاة مؤمنين؟ هل وفقت بين مسلمين؟ هل أقمت علاقة طيبة بين مؤمنين؟ ما الذي فعلته؟

((عن أبي هريرة رضي الله عنه قال عليه الصلاة والسلام لأصحابه: من أصبح منكم صائماً؟ فقال أبو بكر رضي الله عنه: أنا يا رسول الله، ثم سأل النبي عليه الصلاة والسلام من تبع منكم جنازة؟ فقال أبو بكر: أنا يا رسول الله، ثم سأل عليه الصلاة والسلام من أطعم اليوم منكم مسكيناً؟ فقال أبو بكر: أنا يا رسول الله، قال: فمن عاد منكم مريضاً؟ فقال أبو بكر: أنا يا رسول الله، فقال عليه الصلاة والسلام: هذه ما اجتمعت في امرئ إلا دخل الجنة))

[مسلم عن أبي هريرة]

العمل الصالح هل رعيت يتيماً؟ هل تفقدت أرملة؟ هل أطعمت جائعاً؟ هل أرشدت ضالاً؟ هل أفرغت من دلوك في دلو المستسقي؟ هل أعنت إنساناً على حمل حاجته؟ هل بلغت آية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ هل تعقد مجلس علم تتحدث إلى أولادك إلى أقربائك إلى جيرانك؟ ما العمل الصالح الذي تقدمه بين يدي ربك يوم القيامة؟

خصائص العمل الصالح :

أيها الأخوة الكرام: لا بد من وقفة متأنية عند العمل الصالح، هذا العمل له خصائص الخبيصة الأولى:

((عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: سَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَاعْلَمُوا أَنَّ لَنْ يَدْخَلَ أَحَدَكُمْ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ وَأَنَّ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ))

[البخاري عن عائشة]

عود نفسك أنك إذا عملت عملاً أن تدوم عليه، فالثبات نبات كما يقول عامة الناس:

((... أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ))

[البخاري عن عائشة]

تحضر مجلس علم ثابر على حضوره، تتفقد أرحامك تابع هذا التفقد، لك إفاق تابع هذا الإفاق، لك جولة في الدعوة إلى الله تابع هذه الجولة.

((...أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ))

[البخاري عن عائشة]

ومن خصائص العمل الصالح الذي يقوي إيمانك ويزيد ويجدد إيمانك المسارعة للعمل الصالح.

((التَّوَدُّةُ فِي كُلِّ شَيْءٍ خَيْرٌ إِلَّا فِي عَمَلِ الْآخِرَةِ))

[المستدرك على الصحيحين عن مصعب بن سعد عن أبيه]

ينبغي أن تسارع؛ وسابقوا وسارعوا:

((التَّوَدُّةُ فِي كُلِّ شَيْءٍ خَيْرٌ إِلَّا فِي عَمَلِ الْآخِرَةِ))

[المستدرك على الصحيحين عن مصعب بن سعد عن أبيه]

إلا في العمل الصالح ينبغي أن تسارع إليه.

من خصائصه الأخرى أن العمل الصالح :

((.....انطلقنا إلى عائشة فاستأذنا عليها فأذنت لنا فدخلنا عليها فقالت أحكيم وكان نبي الله

صلى الله عليه وسلم إذا صلى صلاة أحب أن يداوم عليها، وكان إذا غلبه نوم أو وجع عن

قيام الليل صلى من النهار ثنتي عشرة ركعة.....))

[مسلم عن زرارَةَ]

العمل الصالح يعوض، إذا كنت قد ألفت أن تصلي الليل وقد فاتتك صلاة الليل ينبغي أن تعوضها، إن كنت تعودت أن تتلو جزءاً من القرآن وفاتك هذا الجزء عليك أن تعوضه، ينبغي أن تدوم عليه وتبادر إليه وتعوضه إذا فاتك، هذا يجعل معنوياتك الإيمانية عالية جداً.

((سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ نَامَ عَنْ حَزْبِهِ أَوْ

عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ فَقَرَأَهُ فِيمَا بَيْنَ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الظُّهْرِ كَتَبَ لَهُ كَأَنَّمَا قَرَأَهُ مِنَ اللَّيْلِ))

[مسلم عن ابن شهاب الزهري]

الشيء الرابع في العمل الصالح ألا ترى عمك وألا تتبه به على الخلق عندئذ يكون عمك الصالح حجاباً بينك وبين الله عز وجل، فإذا أراد ربك إظهار فضله عليك خلق الفضل ونسبه إليك.

٤ — الإكثار من ذكر الله :

أيها الأخوة: أن تزداد في طلب العلم، وتتدبر القرآن، وتسال نفسك في كل آية تقرأها أين أنت من هذه الآية؟ هل أنت مطبق لها؟ والشيء الثالث أن تعمل الأعمال الصالحة وتبادر إليها، وتدوم عليها، وتعوضها ولا تغتر بها، ولا تتبه بها على خلق الله.

الشيء الرابع من وسائل تقوية الإيمان أن تكثر من ذكر الله، فذكره يطرد الشيطان ويقمعه، ويرضي الرحمن ويقرب إليه، ويزيل الهم والغم والحزن، ويجلب للقلب الفرح والسرور، ويقوي

القلب والبدن، وينور القلب والوجه معاً، ذكر الله عز وجل مثل الماء للسّمك فكيف يكون حال السمك إذا فارق الماء؟

((عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَلَا أَنْبِئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ وَأَرْفَعَهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالْوَرَقِ وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْفُوا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ قَالُوا بَلَى قَالَ ذَكَرُ اللَّهِ تَعَالَى قَالَ مُعَاذُ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مَا شَيْءٌ أَنْجَى مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ))

[الترمذي عن أبي الدرداء]

أن تذكره وأنت تمشي مع صديق، وأنت في سهرة، وأنت في سفر، وأنت بين أهلك ومع جيرانك، وأنت في عملك أن تذكر الله، وهذه كلمة واسعة جداً، إذا بينت آية كونية فهذا من ذكر الله، وإذا شرحت آية قرآنية فهذا من ذكر الله، وإذا بينت حكماً فقهيّاً فهذا من ذكر الله، وإذا تلوت القرآن فهذا من ذكر الله، وإذا ذكرت الأذكار التي ذكرها النبي عليه الصلاة والسلام فهذا من ذكر الله، وإذا قرأت كتاب علم كي تزداد من الله قرباً فهذا من ذكر الله، ذكر الله يدور معك حيث تدور.

أيها الأخوة الكرام:

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾

[سورة الحديد: ١٦]

٥ — أن يكون الإنسان مع المؤمنين :

العنصر الخامس في تقوية الإيمان: أن تكون مع المؤمنين.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾

[سورة التوبة: ١١٩]

لا أن تكون مع المنافقين، لا أن تكون مع الفسقة والمنحرفين، لا أن تكون مع الكفار والمشرّكين، أن تكون معهم، لك أن تقيم علاقة عمل بينك وبين أي إنسان، أما العلاقات الحميمة فينبغي أن تكون مع المؤمنين.

﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾

[سورة المجادلة: ٢٢]

من تشبه بقوم فهو منهم، من أقام مع المشركين برئت منه ذمة الله.

((عَنْ سَهْلِ بْنِ مُعَاذٍ بْنِ أَنَسٍ الْجُهَنِيِّ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ أَعْطَى اللَّهُ وَمَنَعَ اللَّهُ وَأَحَبَّ لِلَّهِ وَأَبْغَضَ لِلَّهِ وَأَنْكَحَ لِلَّهِ فَقَدْ اسْتَكْمَلَ إِيمَانَهُ))

[الترمذي عن سهل بن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه]

وهذا هو الولاء والبراء ينبغي أن تكون مع المؤمنين، وتحمل همّ المسلمين، وأن يقلقك ما يقلقهم، ويسعدك ما يسعدهم، ويؤلمك ما يؤلمهم، وتحزن لحزنهم، وتفرح لفرحهم، وتتحرك من أجلهم، وتقدم لهم شيئاً، وتؤدي الذي عليك، وتسال الله الذي لك.

٦ - الزهد في الدنيا وزخارفها :

من وسائل تقوية الإيمان أيها الأخوة الزهد في الدنيا وزخارفها، فلو كانت الدنيا كما قال عليه الصلاة والسلام:

((عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ))

[الترمذي عن سهل بن سعد]

وفي حديث آخر:

((سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: أَلَا إِنَّ الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إِلَّا ذِكْرُ اللَّهِ وَمَا وَالَاهُ وَعَالِمٌ أَوْ مُتَعَلِّمٌ))

[الترمذي عن أبي هريرة]

الشيء المبارك في الدنيا ذكر الله وطلب العلم وتعليمه وما سوى هذا ملعون وملعون ما فيها، لأن ما فيها يبعد عن الله عز وجل.

أيها الأخوة: هناك ملمح دقيق في قوله تعالى:

﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ﴾

[سورة الزمر: ٧٤]

ونحن في الأرض طلبنا العلم وتعلمنا وعلمنا، ونحن في الأرض ذكرنا الله عز وجل لأنفسنا وذكرنا بالله عز وجل هذا ما سيبقى لما بعد الموت وما سوى ذلك الدنيا جيفة طلابها كلابها، الدنيا دار من لا دار له، ولها يسعى من لا عقل له :

((عَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: ذَكَرَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا عِنْدَهُ الدُّنْيَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَلَا تَسْمَعُونَ أَلَا تَسْمَعُونَ إِنَّ الْبِدَاةَ مِنَ الْإِيمَانِ إِنَّ الْبِدَاةَ مِنَ الْإِيمَانِ يَعْنِي التَّقَلُّ))

[أبو داود عن أبي أمامة]

بالتعريف الدقيق البداة ترك الترف والتنعيم، ورد في بعض الأحاديث:

((عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا بَعَثَ بِهِ إِلَى الْيَمَنِ قَالَ: إِيَّاكَ وَالتَّعَمُّ فَإِنَّ عِبَادَ اللَّهِ لَيْسُوا بِالْمُتَّعِمِينَ))

[أحمد عن معاذ بن جبل]

لا تطلب التنعيم، قد يسرك الله وتسعد في الدنيا لكن لا تطلب التنعيم كهدف أساسي في حياتك:

((...إِيَّاكَ وَالتَّنَعُّمَ فَإِنَّ عِبَادَ اللَّهِ لَيَسُؤُوا بِالْمُتَنَعِّمِينَ))

[أحمد عن معاذ بن جبل]

قال بعضهم: كثرة التمتع في البدن والملبس والمطعم والمشرب والمسكن والمركب، كثرة التمتع والمبالغة فيه يبعدك عن الله عز وجل، ويقربك من الدنيا، ويجعل مفارقة الدنيا أمراً صعباً جداً.

٧ - ذكر الموت :

أيها الأخوة الكرام: ومن وسائل تقوية الإيمان وتجديده وزيادته أن تذكر الموت والبلى، أن تكثر من ذكر هادم اللذات، مفرق الأحباب، مشتت الجماعات، أن تذكر قول النبي عليه الصلاة والسلام: " عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب من شئت فإنك مفارق، واعمل ما شئت فإنك مجزي به ".

ينبغي أن تكثر من ذكر هادم اللذات، ليس المطلوب أن تذكر هادم اللذات، بل أن تكثر من ذكر هادم اللذات.

أيها الأخوة: هذا الموت ما ذكر في كثير إلا قلله، كل شيء تملكه تفقده في ثانية واحدة، حينما يقف القلب، أو تنمو الخلايا نمواً عشوائياً، أو حينما يتجمد الدم في العروق بلحظة واحدة يغدو الإنسان من أهل القبور، لذلك لئلا يقع الإنسان في ندم شديد ويقول:

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا﴾

[سورة المؤمنون: ٩٩-١٠٠]

يجيبه الله عز وجل: كلا لا رجعة بعد الموت، لذلك أيها الأخوة: ما من واعظ كالموت، هو الواعظ الصامت، في حياتنا واعظان واعظ ناطق هو القرآن الكريم، وواعظ صامت هو الموت، ومن عدّ غداً من أجله فقد أساء صحبة الموت، ومن وضع أملاً في الدنيا طويلاً فهو من الكبائر، طول الأمل من الكبائر لأنه يصرفه عن الآخرة.

أيها الأخوة الكرام: ندخل لبيوت الله كل يوم لآب من يوم ندخل إلى بيت الله ليصلى علينا، نخرج من بيوتنا كل يوم ونعود ولآب من يوم نخرج ولا نعود، هذه حقيقة، لذلك حينما يدخل ذكر الموت ينضبط الإنسان ويحجم وينتقل لما بعد الموت.

٩ - مخالطة المتفوقين من المؤمنين :

العنصر الأخير في هذا الموضوع أيها الأخوة مخالطة المتفوقين من المؤمنين، صاحب إنساناً يأخذ بيدك إلى الله، أو ينهض بحالك مع الله، أو ينهض بعلمك وأخلاقك، لذلك قال بعضهم: لا تصاحب من لا ينهض بك إلى الله حاله ولا يدلك على الله مقاله، ينبغي أن تستفيد ممن تصاحب من مقاله أي علمه ومن حاله أي أخلاقه، تتأثر بعلمه وبأخلاقه.

أيها الأخوة الكرام: أن تطلب العلم أو تزداد علماً، وتندبر القرآن وتسال نفسك هذا السؤال: أين أنا من كتاب الله؟ الشيء الثالث أن تعمل الأعمال الصالحة، وتدوم عليها، وتبادر إليها، وتعوض ما فاتك منها، وألا تراها أمامك معجباً بها، وينبغي أن تجالس المؤمنين وتذكر الموت والبلى، هذه كلها وسائل تقوية الإيمان، فمن قوى إيمانه سعد في دنياه وأخراه.

أيها الأخوة الكرام: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا، وسيخطى غيرنا إلينا، فلنتخذ حذرنا، الكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأمانى .

* * *

الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله صاحب الخلق العظيم، اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

معاونة المسلمين باعث لهم على الصلح مع الله :

أيها الأخوة الكرام: تعقياً على هذا الموضوع الدقيق ينبغي أن يقلق الإنسان لمكانه من ربه، بعض التابعين النقي أصحابياً ما منهم واحد إلا ويظن نفسه منافقاً من شدة خوفهم من الله. أيها الأخوة الكرام: المسلمون اليوم لا يقلقون إلا لندياهم فقط ! يقلقون إذا ارتفعت الأسعار، أو ضاقت المكاسب، أو جفت الأنهار، أو فقدت بعض المواد، أما لا يقلقون لضعف إيمانهم، ولا لكون صلاتهم لا ترضيهم، و لا يقلقون إذا كان عملهم لا يرجى منه الخير، هنا المشكلة ! قل لي ما الذي يقلقك أقل لك من أنت، ينبغي أن تقلق لمصيرك الأبدي، هذه الدنيا فانية، عرض حاضر يأكل منها البر والفاجر، والآخرة وعد صادق يحكم فيها ملك عادل، أي أننا أيها الأخوة نستخدم مقاييس أهل الدنيا فلماذا نحن في حزن شديد، أما إذا اتخذنا مقاييس القرآن فباب الجنة مفتوح، وباب رضوان الله مفتوح على مصراعيه، ووسائل القرب من الله بين يديك، أياً كنت ووسائل القرب بين يديك، ووسائل العلم بين يديك، ووسائل العمل الصالح لو أنك أمطت الأذى عن الطريق هو لك صدقة، لو أنك رعيت يتيماً هو لك صدقة، لو أنك أفرغت من دلوك في دلو المستسقي هو لك صدقة، إنكم لم تسعوا الناس بأموالكم فسعواهم بأخلاقكم، أبواب معرفة الله والعمل الصالح مفتحة على مصارعها، ولكن الناس يقلقون لنقص دنياهم ولا يقلقون لنقص آخرتهم.

سيدنا عمر حينما طعنه الذي طعنه الكلمة الأولى التي قالها بعد غيبوبته هل صلى المسلمون الفجر؟ ما الذي ألقاه؟ صلاة الفجر، فالمسلمون اليوم ما مشكلتهم؟ هان أمر الله عليهم فهانوا على الله.

قبل يومين أقيمت قبيلة في بلد في آسيا فمات مئة وعشرون إنساناً بالخطأ، الطائرة التي وقعت يطالبون عن كل فرد مات فيها بخمسة مليون ليرة، أي عشرة ملايين دولار، عليهم أن يدفعوا مليارين وسبعمئة مليون مقابل مئتين وسبعين ركباً وقعوا، أما المئة والعشرون فبلا ثمن، هؤلاء يوازن أهل الدنيا، القوي إذا مات عنده الإنسان غال جداً، أما الضعيف فلا قيمة له إطلاقاً. أيها الأخوة الكرام: هان أمر الله علينا فهنا على الله، والتضييق الإلهي لا يمكن أن يكون تضييق عجز، إنما هو تضييق تأكيد، فحينما نهون على الله لا لأننا هينون ولكن ليؤدبنا.

﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ * وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ * كَلَّا﴾

[سورة الفجر: ١٥-١٧]

كلا ليس عطائي إكراماً في الدنيا ولا منعي حرماناً، إنما عطائي ابتلاء، وحرماني دواء، نحن لسنا هينين على الله، ولكن الله سبحانه وتعالى يبدي لنا أننا هينون تأديباً لنا، الأمل مفتوح والأمل كبير واليأس والقنوط كافر.

أيها الأخوة الأحباب: هذا الذي يعانیه المسلمون من المحن هو باعث لنا على الصلح مع الله على التوبة والإنابة إليه، وتطبيق الإسلام في بيوتنا، لئلا يهون أمر الله علينا فنهون على الله.

الدعاء :

اللهم اهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت، وتولنا فيمن توليت، وبارك لنا فيما أعطيت، وقنا واصرف عنا شر ما قضيت، فإنك تقضي بالحق ولا يقضى عليك، وإنه لا يذل من واليت، ولا يعز من عاديت، تباركت ربنا وتعاليت، ولك الحمد على ما قضيت، نستغفرك ونتوب إليك، اللهم هب لنا عملاً صالحاً يقربنا إليك، اللهم أعطنا ولا تحرمنا، أكرمنا ولا تهنا، آثرنا ولا تؤثر علينا، أرضنا وارض عنا، أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنينا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها مردنا، واجعل الحياة زاداً لنا من كل خير، واجعل الموت راحة لنا من كل شر، مولانا رب العالمين، اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك، وبطاعتك عن معصيتك، وبفضلك عن سواك، اللهم لا تؤمننا مكر، ولا تهتك عنا سترك، ولا تنسنا ذكرك يا رب العالمين، اللهم بفضلك ورحمتك أعل كلمة الحق و الدين، وانصر الإسلام وأعز المسلمين، وأذل الشرك والمشركين، اللهم دمرهم واجعل تدميرهم في تدبيرهم، واجعل الدائرة تدور عليهم يا رب العالمين، اللهم خذ بيدنا إليك، ودلنا بك عليك، اللهم وفق ولاة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها لما تحب وترضى، يا رب العالمين، إنك على ما تشاء قدير وبالإجابة جدير.

والحمد لله رب العالمين